الدمـــوع

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان ريكاردس أرملاً يعيش مع ابنته الوحيدة . وكان كثير التنقل من مسكن إلى مسكن ، ولكنه لم يترك لوندرا فى وقت من الأوقات . وكانت المساكن التى يقيم فيها من النوع الحقير الذى تؤجر فيه كل غرفة على حدة ، وتدفع أجرتها مقدماً

وكان كثيراً ما يلجأ إليه المجرمون للاستشارة ، فيفتيهم بما يدفع عنهم العقاب أو يجد لهم الوسيلة للخلاص . ولكنه هو نفسه لم يكن مجرماً ، وإن اعتمد فى رزقه عليهم وعلى مؤلفات صغيرة يضعها عن المجرمين والإجرام

كان أكثر زواره من طبقة الحدادين والنشالين واللصوص المبتدئين وخدم المنازل . وكانوا يطلقون عليه لقب (العلامة لتفننه فى ضروب الحيل)

وكان يقول لهم إنه قضى الشطر الأول من شبابه طالباً فى جامعة اكسفورد ، وإن له أصدقاء من بين الوزراء واللوردات . وكانوا يجدون أمامه كلما زاروه أكداساً من الكتب ، ومجاميع من صور العظماء . وكانت بنته فيوليت ذهبية الشعر جميلة العينين رشيقة القد . وهى تقوم فى المنزل بكل أنواع الخدمة ، من الطبخ إلى الكنس إلى مشترى الحاجات من السوق . وكانت زكية نشيطة ، وقد بدأ أبوها يحد من حريتها ويراقبها مراقبة شديدة لما بلغت عامها الرابع عشر . وذلك لأنه لاحظ أن بعض زواره كانوا يغمزونها بألحاظهم ، وظن أنها كانت تنتهز فرصة يكون فيها غافلاً فتبسم لاحدهم . وقد لاحظ مرة أو مرتين أنها تركته فى أثناء حديث له معتذرة بعذر من الأعذار . ولكن اتضح أن العذر مكذوب ، وأنها خرجت لتحادث أحد الشبان على السلم

وكان فى مثل هذه الحالة يغضب ويحتد ويطرد زائره ويأمره بعدم العودة ، ثم يستدعى فيوليت فيأمرها بملازمة حجرتها

وفى يوم من الأيام استأذنته فيوليت فى الذهاب إلى السينما مع أحد أصحابها فقال : « كلا لا تذهبى »

قالت : « حتى ولا مع سوانى جيمز ؟ » . فقال : « لا تذهبى مع أى إنسان »

— قالت وقد بدا عليها ما يبدو على سائر الفتيات فى حالة العناد : « ولكننى أريد أن أذهب فلماذا تمنعنى ؟ » فقال : « لأنى آمرك بعدم الذهاب »

فهزت رأسها الجميل الشعر وقالت : « هب أننى ذهبت بالرغم من منعك ؟ » . فقال : « إذن أضربك عند عودتك »

قالت : « وهب أننى لا أعود إلى المنزل ؟ » . ثم اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع وقالت : « هب أننى ألقيت بنفسى تحت الترام أو القطار أو فى البحر ؟ »

فهز العلامة كتفيه وأجابها بجواب خشن . واعتادت أن تسكت عند مثل هذه الحالة وتكف عن مطالبته بالذهاب

ولكن لا يحسب القارئ أن معاملته إياها كانت خشنة على الدوام ، فقد كان كثيراً ما يلاطفها خصوصاً إذا شرب وانتشى ، ويصفها بأنها عزاؤه وتسليته ويقول لها إن أمها أوصته وهى تموت بأن يعنى بها ، وإنه لهذا السبب يحرص عليها ويبذل من أجلها كل ما يستطيع ، وإنه إذا منعها عن جيمز وأمثاله فإنه يعلم أن أشال هؤلاء سيجرون إليها المتاعب فى المستقبل ، وإنه سيجد لها الزوج الكفء فى الوقت المناسب

لكن كل شيء من هـذا قد ذهب وفات أوانه وأصبحت فيوليت فى السابعة عشرة فلم يعد يستطيع تهديدها بالضرب ولم تعد تجدى معها النصائح ، فإذا ما أراد إرغامها على رأيه هددت بالانتحار فيضطر إلى الإذعان . ولم يعد له من سلاح غير لسانه الذى يلجأ إليه فى قليل من الأحيان

وكانت فى هذه الحالات تلجأ إلى الدموع

ولما تجاوزت العام السابع عشر وجد أبوها وسيلة جديدة للرزق هى إرسال خطابات يطلب فيها المساعدة من كبار المؤلفين والكتاب وإلى من يقيمون من أنفسهم مقام الرعاية لحملة الأقلام. وكان يقول فى خطاباته إن حرفة التأليف كسدت فى مدة الحرب وفى العهد الذى تلاها، وإنه يرتزق من قلمه، وإنه لا يملك حتى طابع البريد الذى يرسل به الخطاب ، وإنه لذلك يبعث به مع ابنته الوحيدة فيوليت .

ثم يسلم الخطاب إلى ابنته ويأمرها بأن ترتدى أقدم ثيابها وتضع فى كفيها قفازين باليين ، ويبحث فى فهارس الكتب عن أسماء المؤلفين وعناوينهم ، ويوصى ابنته بأن تتصنع الكآبة وتزعم أنه ليس فى المنزل طعام وبأن تقلل معهم من الكلام بقدر المستطاع

قالت : « وهل أقول ليس فى المنزل شراب أيضاً ؟ » فقال : « إياك أن تذكرى اسم الشراب ، ولتقفى حتى يسلم إليك الرد » .

وفى أول مرة كلفها بذلك ذهبت وعادت فوضعت أمامه عشرة جنيهات فاستخفه الطرب وقال : « كيف أمكنك الحصول على كل هذا ؟ »

فقالت: «لقد فعلت كما أمرتنى ، فأبى الرجل أن يعطينى شيئاً ولكنى بكيت »

قال : « بكيت ؟ كيف ؟ هل آذاك ؟ »

فقالت : « كلا »

قال : « ولكن كيف تبكين ؟ هل تأثرت من ذهابك بهذه الرسالة ؟ » فقالت : « كلا يا أبى ، ولكنى وجدت البكاء وسيلة لتنفيذ المهمة التى ذهبت من أجلها »

قال وقد بدت عليه علائم الراحة والاطمئنان : « خبرينى يا فيوليت . هل فى استطاعتك البكاء كلما أردت ؟ » . فقالت : « نعم . فإن معاملتك إياى منذ الصغر سهلت علىّ اصطناع البكاء »

فلاطفها وواساها وقال : « تعالى يا ممثلتى العزيزة . إننى أهنئك بمستقبل باهر »

وكان ذلك اليوم بداية عهد جديد ترك فيه العلامة إفتاء المجرمين وترك حرفة التأليف ، وعكف على تحرير الخطابات وإرسال ابنته بها

ولقد أغنته هـذه المهنة فأيسر ، ولكنه ما زال عاكفاً على إرسال الخطابات

وفى يوم من الأيام جاءت إليه الخادم بخطاب وقالت : إن الفتاة التى حملت هـذا الخطاب تنتظر مقابلته بالباب . فقال : «أسمعينى ما فى خطابها» فقرأته ، وهو خطاب من مؤلف كسدت سوق بضاعته ، وليس فى منزله طعام ، ويريد مساعدة مالية لا تقل عن عشرة جنيهات

قال ريكاردس : « أطردى التى جاءت بهذا الخطاب » . فقالت الخادم : « أخشى ياسيدى ألاّ يكون هذا فى استطاعتى . إنها تبكى وحالتها مؤثرة جداً ، وتقول إنه ليس فى منزلها طعام »

قال : « اطردیها . فلماذا يلجأ إلىّ من أرسلها ؟ عنده نقابة المؤلفين ، وعنده الجمعيات الخيرية المختلفة »

فخرجت الخادم وهى تفكر فى وحشية سيدها الذى يأمر بطرد فتاة مسكينة لا تجد هى ولا أبوها القوت الضرورى . ثم عادت فقالت: إن الفتاة أبت أن تنصرف ، وألحت عليه أن يقابلها. فنزل ريكاردس ووجد الفتاة فى ثياب سوداء وفى يدها قفاز كله ثقوب . وبكت أمامه بدموع حارة ، وأقسمت بصوت متهدج ، أنه ليس فى منزلها قوت . فاضطر ريكاردس أمام هذه الدموع إلى إعطائها خمسة جنيهات »

وربما أدرك القارئ أن تلك الفتاة لم تكن سوى فيوليت متنكرة ، وقد غيرت صوتها ، وأنها تمثل أمام أبيها نفس الدور الذى كان يرسلها لتمثيله أمام الناس

وفى يوم قريب من هذا الحادث طلبت فيوليت إلى أبيها أن يأذن لها بالذهاب مع جيمز للنزهة. فأبى وأصر على إبائه، وأطاعته وقد كظمت غيظها وأصرت على فكرتها

فى عصر ذلك اليوم سلم إليها أبوها خطاباً إلى أديب كبير فى ضاحية من ضواحى المدينة لأنه كان قد استنفد أسماء المقيمين فيها، فذهبت لأداء هذه المهمة بعد أن زارت مكتب أبيها وأخذت منه أوراقاً

وانقضى اليوم ولم تعد ، وانقضى اليوم التالى كذلك ، وكاد أبوها أن يجن ، وأشيع أنها تزوجت من جيمز وأنها تقيم معه فى منزل قريب من منزل أبيها

وتفقد مكتبه فوجد كيس نقوده مفقوداً ، وكذلك دفتر مذكراته الخاص وبيان طويل بأسماء المؤلفين وعناوانهم ، فكان حزنه على البيان والدفتر أكثر من حزنه على المال المفقود لعلمه أن هذين هما مصدر ثروته . وأدرك أنها ذهبت إلى جيمز لتؤدى له الخدمة التى كانت تؤديها لأبيها فامتلأت نفسه بالأحقاد على هذا المزاحم

وبعد أسبوع واحد تقابل ريكاردس وجيمز فى الطريق فأمسك الأول بتلابيب الثانى ، وطلب إليه أن يرد ابنته أو يسوقه إلى البوليس، لأن فيوليت لم تبلغ العام الحادى والعشرين فلا حق له فى الزواج منها إلا بإذن أبيها . وقال إنه إما أن تكون معاشرته إياها سفاحاً معاقباً عليه لعدم بلوغها تلك السن ، وإما أن تكون متزوجة بعقد مزور

قال جيمز : « إذن فلنذهب إلى البوليس وأنا مستعد للعقوبة إن كان ثمت عقوبة ، ولكنى سأقدمك للمحاكمة وعندى الأدلة بخطك من دفتر مذكراتك ، ومن بيانك بأسماء المؤلفين . وسأقول إنك تعيش من أموال تحصل عليها بطريق النصب لأنك تطلبها بأسباب غير صحيحة ؛ وبنتك تشهد عليك »

لما سمع ريكاردس ذلك وجف قلبه وفتر تحمسه وترك خصمه وذهب قانعاً من الغنيمة بالإياب

وفى اليوم التالى نشرت الصحف إعلاناً هذا نصه :

« رجل من المشتغلين بالأدب متقدم فى السن يريد أن يتبنى فتاة يتيمة فى السابعة عشرة من العمر . العنوان : صندوق البريد رقم ٧٣١٥ »

وليس فى استطاعتى إلا أن أفهم أن صاحب هذا الإعلان هو ريكاردس وأنه يريد الاستعاضة باليتيمة عن بنته وممثلته فيوليت .

عبد اللطيف النشار

شركة مصر لنسيج الحرير

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة فى أثمانها ...

رائعة فى ألوانها ...

فبادروا بأخذ طلباتكم